

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وفرغ ممّا قدم فيه ... وتوجّه عائداً بمن معه، فنزل بهم منزلاً قريباً من المدينة باتوا فيه طرفاً من ليل. تقول عائشة [1025]: وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد انسلّ منه ولا أدري ... فرجعت إلى المكان الذي ذهبت إليه، فوجدته. لكنّها لحظة عادت إلى العسكر، كان القوم قد أخذوا هودجها وهم يطنّونها فيه، وانطلقوا في رحلة الإيّاب. وعندئذ تلفّفت بجلبائها وقبعت حيث هي، وقد علمت أنّهم سيفتقدونها، فيعود منهم عائد يردّها إليهم. فإن هي إلّا ساعة أو نحوها حتّى مرّ بها صفوان بن المعطل فعرفها، فتحنّى لها عن بغيره، ومضى بها مسرعاً لعلّه أن يلحق الناس ... فإذا هم قد فاتوه، وإذا هو لا يبلغهم إلّا والنهار قد أسفر. وعندئذ أدلع الشيطان لسانه، يبتّ خبئه، فقال الأفاكون: ما لعائشة تأخّرت عن العسكر! * * * وكثرت القالة ... ولم يطرق سمع عائشة شيء ممّا كان يتناثر حول اسمها من شائعات السوء، فلقد سقطت، منذ دخلت المدينة، فريسة مرض شديد ألزمها فراشها أياماً طويلة: بضعة وعشرين. لكنّها كانت تنكر من زوجها جفاءً لم تعرفه قطّ من قبل، بل قد كان يعودها في علّتها، فلا يكاد يخاطبها بكلمة، أو ينطق باسمها، أو يضع عليها عينه، وإنّما يستفسر الذين حولها باقتصاب شديد: «كيف تيكمن؟» ثم ينصرف لا يزيد. وتلقّى هي سلوكه الخشن هذا بانزعاج واجم، وقلق عميق.